

إليه ، وظل الحال على ذلك حتى قال المتنبي :

ولإنما الناسُ بالملوك وما تفلحُ عربٌ ملوكها عجمُ

لأنه لا يرى عندهم أدباً ولا حسباً ولا عهداً ولا ذمماً ، فكل أرض وطئها العربي أحسّ بأنه غريب الوجه واليد واللسان ، بعد أن كان سيداً في كل مكان عزيزاً في كل أرض إسلامية . وليس هذا فحسب ، وإنما استولى على الحكم بعض النصارى فاستاء الشعب وتذمر ، حتى قال شاعرهم يهجو وزيراً مسيحياً بمصر :

تنصرُ فالتنصرُ دينُ حقٍّ عليه زماننا هذا يدُلُّ  
وقلُّ بثلاثة عزوا وجلوا وعطل ما سواهم فهو عطلُ  
فيعقوب الوزير أبٌ ، وهذا الـ عزيز ابنُ وروحُ القدس «فضل»

وذلك منتهى السخرية والزراية بالحكم المتقلب والجمالة القلقة ، والانحطاط السائد ، وتبليبل الأمور ، وفوضى الأعمال ، والإنفاق الشديد بغير تعقل ، فقد سكن الأمراء والخلفاء والملوك قصوراً تحتل مساحات شاسعة من الأرض ، وليس للفقراء منزلٌ يأوون إليه ويسكنون عنده ، فقام ترفٌ لاحد له وفقرٌ لاحد له ، ونشأ من ذلك حسد وخبث ، وكذب وخديعة ، ولذائد بهيمية ضاعت معها الأعراض وفسدت الأخلاق ، وساعد عليها المتعاملون وأنصار الحكم المأجورون ممن يدعون زعامة الدين ، وذلك لأن الحكام غرقوا في شهوات النفس والجسد ، وناموا عن شعبهم المسكين المريض الجائع الفقير ، فكفر الشعب بالمثل العليا . ووقعت الرعية في أنياب الإقطاع والظلم ، وكان للذئب مرتع في الغنم يسيم حيث يريد .

لذلك نهض الشعراء إلى هجاء الحياة الاجتماعية ووصفها بما آلت إليه من تدهور في الأخلاق عند الرجال والنساء ، وإسفاف في العلم وكفر في الدين ، فقال ابن لنكك البصرى :

يا زماناً ألبسَ الأحـ رارَ ذلا ومهانبه